

التفكيك والاشتغال على رؤى جاك دريدا في النقد العربي المعاصر
—تأملات في فكر عبد الله الغدامي وأعمال محمد بكاي—

Deconstruction and engagement with Jacques Derrida's visions in contemporary Arab criticism – Reflections on the thought of Abdullah Al-Ghadhami and the works of Mohammed Bakkaye

* فاطمة الزهراء سليلي،

جامعة الجلفة، الجزائر

Fatima.selilih@univ-djelfa.dz

تاريخ النشر: 2026-06-09

تاريخ القبول: 2026-04-14

تاريخ الاستلام: 2026-01-11

ملخص

يسعى هذا المقال إلى الوقوف على محطات تلقي النقد العربي المعاصر للتفكيكية كمنظومة فكرية مابعد حداثة تشغل على فتح النص والكشف عن الدلالات داخل طياته وشبكاته، وقد برزت أفلام فاعلة في تبني التفكيكية والتي غطت ظروف الاستقبال بطرق متباينة بين النقد والمحاكاة والقراءة والترجمة والتأليف، من أجل البحث عن المعنى اللاهوائي المتضمن في الشبكات النصية، وتطرقنا في ذلك إلى الرؤى النقدية عند عبد الله الغدامي الذي بدوره يسائل المنهج بناء على بعدين محمول فكري غربي وموروث عربي بتسجيل الفكر التفكيكي فيما ورد عند الجرجاني ودريدا وبارث، وتجربة محمد بكاي الأكاديمي الجزائري حول أعمال جاك دريدا ترجمة وتاليفا ومعابنته وتشخيص فلسفته

الكلمات المفتاحية: تفكيكية؛ نقد عربي؛ جاك دريدا؛ عبد الله الغدامي؛ محمد بكاي.

Abstract

This article aims to examine the reception of postmodern deconstruction as a theoretical system that operates on unraveling texts and uncovering their implicit meanings through their folds and networks. Several influential pens have embraced deconstruction, addressing the conditions of reception through varied approaches—critique, imitation, reading, translation, and authorship—to explore the infinite meanings embedded in textual networks. We deal also with the critical perspectives of Abdullah al-Ghadami, who interrogates the methodology based on two dimensions: a Western intellectual heritage and an Arabic legacy, documenting deconstructive thought as reflected in the works of al-Jurjani, al-Dardir, and al-Barth. Additionally, we analyze the Algerian academic Mohammed Bakkaye study of Jacques Derrida works, encompassing translation, authorship, engagement, and diagnosis of his philosophy.

KeyWords: Deconstruction; Arab criticism; Jacques Derrida; Abdullah Al-Ghadhami; Mohammed Bakkaye.

*فاطمة الزهراء سليلح

المقدمة:

يعتبر جدل المناهج وصراعه فاعليات تصف الخطابات وتحللها وتسعى إلى فحصها من أجل الكشف عن البنية الدلالية بناء على طرق مختلفة بين توصيف لتكوين تلك البنية أو تصديعها التي تفضى إلى متوالية من الدلالات المرتبطة بالتناقضات الداخلية الموجودة في النص، والتوجه النقدي العربي المعاصر وكتب السيرورة والجدلية النقدية فساهم في التغيير والتجديد فتجاوز النقد التقليدي الذوقية والانطباعية واستراتيجيات أفلاطون إلى معاناة الظاهرة الأدبية وحركة النص الأدبي وشاعريته وفتح آفاقه بناء على أسس نقدية كالتفكيكية، والتي انبثقت في فرنسا مع جاك دريدا وقد صور مسارها لسر عوالم التأويل والقراءة بين الحضور والغياب لابتكار معاني لانهائية بين اللغة وتهيئة المعنى لعدم استسلامية اللغة الأدبية، وفي ظل التلقي للتفكيكية قاد النقاد العرب النقد إلى مسارات جديدة تستثمر هذا الوافد وقد تمثل المشروع النقدي لعبد الله الغدامي من أهم الرؤى التي وحدت القديم مع التشرحي المبتكر لإعادة بناء النص، ومحمد بكاي الناقد الذي يحيي أطراف دريدا متوسلا بها لتفجير حدود النص وزحزحة مراكزه وتفكيكها

وسنعالج في طيات البحث التفكيكية في النقد العربي مع فكر ورؤى عبد الغدامي وتلقي محمد بكاي لها، بناء على إشكالية مفادها كيفية تبعية التفكيكية كموقف فلسفي هدفه إعادة المفاهيم موازنة مع النقد التقليدي ومدى تطلع النقاد المعاصرين لتفكيكية دريدا نقدا وقراءة ومحاكاة وتأليفا وترجمة ؟

I. جذومية التفكيك واستراتيجية الفكر:

ارتبطت فلسفة النقد الغربي المعاصر بالنص وشعرية الكتابة الأدبية التي تجيب على أسئلته وحدوده ومركزته ودلالاته المتعددة واللا نهائية، ولاسيما المذاهب النقدية التي تطمح إلى دراسة النص بمكوناته الداخلية والخارجية واللغة من أساسياتها، وتعتبر التفكيكية رؤية مابعد حدثية تعدل من النظرية الحدثية البنيوية التي تركز على النموذج اللغوي لحقول المعرفة الإنسانية، وهذا المبدأ يتناقض مع الكفاءات وأنواع وقدرة الأجناس الأدبية، وبعد الحرب العالمية الثانية والتحويلات الطارئة على جميع الأصعدة والمعرفية من بينها وفي خضم تحقيق الغاية العلمية النقدية والشك الفلسفي الذي يرفض النموذج والقراءات الجامدة والسلطة والنظام إلى تحقيق المقصدية النصية بناء على الهدم والتفكيك والتقويض وتحويل الثابت والاختلاف وثنائية الحضور والغياب وهذا ما سعى إليه الفيلسوف الفرنسي (جاك دريدا) بفكره متأثرا بأفكار (هيدجر) بقوله: "إن ديني ليدغر هو من الكبير، بحيث بأنه يصعب أن نقوم

بجرده هنا، والتحدث عنه بمفردات تقويمية أو كمية، أوجز المسألة بقول إنه أول من نقر نواقيس نهاية الميتافيزيقيا" (حمودة، 1978، صفحة 34) وذلك مع أواخر السيتينيات وبعد مثول البنيوية.

التفكيكية توجه نقدي نائر على الكلاسيكية المركزية والعقل والمنهج العلمي متجها إلى شعرية الكتابة و تفجير حدود النص لأنه يعتبر حاملا لدلالات التفكيك في نفسه وهو ما يعرف في النقد بحدث القراءة الذي يمكننا استنطاق معانيه المتوارية خلف البنيات النصية اللغوية إذ يؤكد بلانشو أنه " لم يعد يمتلك فيه أي اسم معنى يخصه ولكن ليس له من مركز سوى إمكانية الانحراف عن المركز والانحدار والانشاء ونفي الذات أوتكريرها، التلاشي في أحسن أحواله" (بلانشو، 2018، صفحة 121)، ثم إن الاختلاف في المقاربات التفكيكية تتجاوز السطحية إلى الولوج في التأويل والحوار والتبادل الفكري بين النص وقارئه بيد أنه من الصعب تحديد وظيفتها ومفهومها لأنها تنبع من كون جميع المحمولات وجميع المفهومات التحديدية وجميع الدلالات المعجمية، حتى التمهصلات النحوية التي تبدو في لحظة معينة وهي تمنح نفسها لهذا التحديد وهذه الترجمة، خاضعة هي الأخرى للتفكيك وقابلة له... إن كلمة التفكيك شأن كل

كلمة أخرى لا تستمد قيمتها إلا من اندراجها ضمن سلسلة من البدائل الممكنة... ولا تتمتع هذه المفردة بقيمة إلا في سياق معين تحل فيه كلمات محل أخرى أو تسمح لأخرى تحددها" (دريدا، 2000، صفحة 63) ووظيفتها الاستراتيجية محاورة النص بتصديعه كله وإعادة محاورته من خلال المتناقضات المدججة داخله لتحرير الدلالة وفتح الأسئلة بناء على مجموعة أساسيات:

1 الاختلاف :

مقوم يعبر عن الاحتمالات المتعددة إذ يرى جاك دريدا أن العلامة اللغوية المشكلة للنص تختلف عنها في نظام دلالي آخر، فهي تتوقف على الاختلاف والتأجيل مما يفرض على المتلقي أن يبحث على عن مدلول الكلمة تحت سيطرة فكرة الحضور، أي حضور الدال وتعدد المدلولات المختلفة عن بعضها، وفي غضون الاختلاف اللغوي يطرح لوتش تساؤلا عن مصطلح الاختلاف حسبه أنه ليس بكلمة ولا مفهوم -فما هو؟ يجب دريدا "أنه الإزاحة التي يصبح بواسطتها أي نظام مرجعي كاللغة أو أي شفرة ذا ميزة تاريخية عبارة عن بنية من الاختلافات" (غوانمي، إبراهيم، و عواد ، 1996، صفحة 118)، ثم إن بلوغ المعنى المحدد يستقر داخل هذا التيه.

الاختلاف حضور متجسد في غياب إذ تعني هذه الميتافيزيقيا زمانية الوجود المرتبطة بالماضي كما كان والحاضر كما هو كائن والمستقبل كما يجب أن يكون، كما أن الحاجة للكشف عن الحضور والوصول إلى المعنى ينطلق من وعي المتكلم في اللحظة' اللحظة التي نفسر بها العالم حسب هيدجر فاللغة أداة تجسد الحضور .

2الكلم:

مرتبطة بالمنطق والعقل في النظريات الفلسفية، إذ تعطي العقل الأولوية في تحديد المعاني، فكفالة صحة المعنى في هذا السياق تشير في فكر دريدا إلى ما يعرف بميتافيزيقيا الحضور الذي استصاغه من فكر هيدجر إذ "يعني بوجود مركز خارج النص أو اللغة يثبت صحة

المعنى دون أن يكون قابلا للطعن فيه، أو البحث في حقيقته" (ستروك، 1996، صفحة ع202، ص216) ويتصور التفكيكي دريدا هذا الحضور من خلال إعطاء الامتياز للكلمة المنطوقة لإمكانية تواجده زمني ومكاني للمتكلم الذي يعني ويعني مايقول في المقابل المتلقي الذي يحقق التكامل من خلال الاستماع في الوقت نفسه، وبهذا يتحقق الفهم المباشر والمعنى التام ، ثم إن الثقافة الأوروبية اعتبرت الحضور التام والفعل الحواري هو الذي يزيح الاحتمالات ويحد من الآفاق مقيد بمبدأ (هنا والآن) (غواني، إبراهيم، و عواد ، 1996، صفحة 125) .

3الكتابة:

تأتي في الدرجة الثانية من النشاط بعد الكلام حسب الثقافة الأوروبية لأنها تغيب مركزية الصوت وبالتالي غياب المعنى المراد والمثبت، حاول دريدا إعادة الاعتبار للكتابة من منظور أنها مجموع علامات تكشف عن التغريب في المعنى وتنبه له تفسيرات متزايدة ومتوالدة عبر الحضور اللامتناهي من الزمن بوصف "الكتابة إطار للاختلاف والتعدد والتباين" (غواني، إبراهيم & عواد (1996, p. 126) ، كما ن فكر دريدا يركز في هذا الصدد على مجازية اللغة المتجاوزة للدلالة الحرفية للمعنى وحقيقته الجوهرية إلى اعتبار تلك الحقيقة صورا مجازية تتوفر فيها أدوات الخطاب الإقناعي خاصة الخطابات الأدبية.

4القراءة:

من الاستراتيجيات المتشعبة عن التفكيكية تتعلق بلغة النص والدلالات المحمولة من خلال القراءات المتميزة بين داخل النص وخارجه لأنه "من غير الممكن الانحباس داخل النص الأدبي..." (غواني، إبراهيم، و عواد ، 1996،

صفحة 137) وهنا تكمن وظيفة القارئ فك العلامات وتفكيك العلائق الممتدة فيه، فتتعدد القراءات وتصبح كل قراءة إساءة لقراءة أخرى وهي حرية مواجهة النص خاصة الأدبي بلغته الإبداعية والانفعالية غير التقريرية.

5. التأثير

حدث ينتج عن الكتابة لما لها من أهمية بالغة كأهمية اللغة، حيث يرى جاك دريدا أن العلامة اللغوية تعمل من خلال الاختلاف حمال وجهي النقيض الحضور والغياب، والإرجاء الذي يغيب المعنى المعلن عنه في ظاهر الكلام لتحيل إلى عدم الكفاية الدلالية ولا مدلول محدد، والنص في نظره يتضمن آثار نصوص أخرى لأنه لا يوجد حضور مطلق والآخر دائم الغياب فهو "مايشير ومايمحو في الوقت نفسه وعليه فالأثر مالا يكون حاضرا دائما" (دريدا، 2000، صفحة 53)

II. التفكيك في النقد العربي المعاصر (عرض ونقد):

إن رهانات التفكيكية في نقدنا العربي منذ ظهوره في منتصف الستينات لاقت اهتماما بالغاً في ظل نظريات النقد الأدبي المابعد حداثي، وقد تعددت الرؤى في تفسير المنهج النقدي ومدى أهميته في تفكيك الخطابات على اختلافها، فأسس هذا لبروز أفكار تحيب عن أسئلة النص وتشرح فواصله وحدوده وشعرية الكتابة المتوارية ضمن جمالياته واستراتيجياته.

ويمكننا أن نروم مشاهد التفكيك وملاحمه وإشكالياته في نقدنا العربي من خلال الناقد الأدبي الثقافي السعودي (عبد الله الغذامي) مع تشريحه وكذا الأكاديمي الناقد الجزائري (محمد بكاي) مع تأملاته ودراساته في حفرات التفكيك .

1 التفكيكية وتشريح النص عند الغذامي :

الانتقال الأول للتفكيكية مشرقياً الأصل حين أشار إليه عبد الله الغذامي مستقراً رأيه على مصطلح التشريحية أو تشريح النص الذي تفتح أفق التفاعل والإبداع القرائي " ولهذا تحيرت في تعريب هذا المصطلح ولم أر أحداً من العرب تعرض له من قبل على حد اطلاعي وفكرت له بكلمات مثل النقض والفك ولكن وجدتهما يجملان دلالات سلبية تسيء إلى الفكرة... واستقر رأيي أخيراً على كلمة التشريحية وتشريح النص وهذه وسيلة تفتح للإبداع كي يتفاعل مع النص " (الغذامي، 2006، صفحة 48)، فكره يتمحور حول رؤية أن دريدا نقض التمركز المنطقي الكامن في المدلولات عند سوسير وقبله ستراوس وهيدجر وأفلاطون إلى الأثر في القيمة الجمالية التي تجري وراءها النصوص ويتصيداها كل قراء الأدب وهو مايعادل سحر البيان في البلاغة العربية (الغذامي، 2006، صفحة

(50)، حيث إن تجديد الفكر النقدي من خلال الناقد هو محاولة إحداث نقطة انعطاف من الخواء والجمود والمهمش من المعنى إلى التفكيك والتشريح للبحث عن اتجاهات ولعبة الإحالات الدالة على تشكل اللغة التي تركز بدورها على نسق ومحمولات دلالية، ثم إن محاولة تحرير العلامة وتفكيكها وتعرية العلاقات داخل الطبقات النصية التي في هيئة حضور للكشف عن المسكوت عنه والوصول إلى الغائب.

إن الممارسة التشرّحية عند عبد الله الغدامي - بعد جعل النص عالما عائما وللقارئ الحرية إزاء المرحلة السابقة مرحلة الصراع بين المناهج السياقية والنسقية - قائمة في البداية على تبسيط مصطلح البنيوية كمنهج يمارس على النص معتمدا في التحديد على جون بياجيه أنها مرتبطة بالبنية نفسها ومدى تأثيرها على انفعال المتلقي ولا يختلف عن نظم الجرجاني في نظريته أن قيمة النص والمعنى يتولدان من علاقات التركيب (الغدامي ع، 1994، صفحة 8)

أعرب عبد الله الغدامي في مؤلفاته عن مراودته للتفكيك والتشريح وبأن المحاورة المفتوحة بين القارئ ومعطيات النص قائمة على الصراع والمعارضة والحل التشريح الذي يسمح لنا بسبر تلك الأغوار وتحديد الجماليات وتوضيحها وتحقيق مدى أصالتها "وبما أننا نمارس القراءة والنقد من الداخل فهذا معناه أننا ننتعمق في أغوار هذا الاخل ونغوص فيه أكثر كي نزداد وعيا به وبأنفسنا فيه، وسنكون حينئذ طرفا في في محاورة مفتوحة تقوم على المعارضة والمناقضة، وتتخذ الحل النقض والتشريح وسائل لفتح حلقات الدائرة والنفاز من خلالها" (الغدامي ع، القصيدة والنص المضاد، 1994، صفحة 81) لاستنطاق المرجعيات بوصف النصوص أنساق متداخلة واستشراف البنى العميقة ضمن الأنساق المركبة لكل الشفرات، والإحاطة بهذه الإزدواجية مفاده تقريب المعنى وتعميق الرؤى وفاعلية القراءة المشرحة لتفسير الخصائص الفنية والأنظمة اللغوية وحتى الثقافية والاجتماعية المشكلة للنص .

كما أنه ضمن أطر الثقافة العربية المعاصرة والحركات النقدية حقق الناقد علامة فارقة أسست لمنعطف يعتبر رد فعل على البنيوية اللسانية وارتبطت أساسا بالنقد الثقافي المرتبط بدوره باستراتيجية التفكيك والتركيز على رؤى دريدا بهدف إعادة الكشف عن الخطابات الأدبية حيث "أضاف لها النقد الثقافي في الأدب نظرة تقوم على افتراض أنها تحتوي على أنساق مضمرة، ومهمتها هي اكتشافها وإعادة تأهيلها إلى سياقها الخارجي" (عدنان، 2025) استجابة للمعطيات الألسنية ومحاصرة النص مثل المقاربة التي أسقطها على النص الشعري (حمزة شحاته) وهي "محاولة جادة ومتميزة في تحريف الدراسة الأدبية العربية في مجال البراعة الإنشائية والخواء الفكري إلى مرحلة التحليل والتشريح" (يقطين، 1428) فالإمسك بالنص عنده بعد تخطي الاتجاهات النقدية وتبني التشرّحية يتخذ معينا للانطلاق

في تأسيس الشفرات من خلال تحريك الإشارات النصية، بالتركيز على الأثر وتصيده من الكتابة وفيها ومعها، والتركيز على التداخل النصي لأن الكتابة هي تكرار واقتباس وتنقل من سياق لآخر.

فمن خلال هذا ربط الغدامي القراءة التشريرية بسلطة القارئ حيث يحاول هذا الأخير - الذي يكون واعيا بالمفاهيم - بحركة مزدوجة تبدأ بربط النص كجنس أدبي يمثل الوحدة الكبرى بالسياق، ثم تقسيمه إلى أجزاء ووحدات صغرى ليبني نصا آخر يتداخل مع السابق، وبالتشريح نميز العلاقات بينهما على صعد العديد من المستويات والوظائف الفنية اللغوية الثقافية... لاستكشاف وجود آخر له، وهذا ما يمكن أن يترصده المتتبع لتحليل الناقد على أنها "ليست مقارنة ناقد أدبي يتصيد الصور البلاغية، أو يتعقب مواطن الفتح اللغوي والمجازي والإيقاعي، وإنما مقارنة نقد يفرج متنا ثقافيا يظهر أمراضا ثقافية وقارئ ثقافي... يكرس علاقات وبجراً العالم المتحصن بجهاز مفاهيمي حديثي وبعده ثقافية واسعة يقتحم هذا الطابو

والثقافة المغروسة في شعور هذا المستهلك سواء في اللغة والجسد أو عمود الشعر العربي" (جبري، 2001، صفحة 34).

ويحيل واقع وقوام تجربة الغدامي القرائية (النظرية/ الإجرائية) في مشروعه التفكيكي التشريري إلى استثمار القيمة الشعاعية للنص التي بها تتحرك وتتوضح عناصر النموذج المتمثلة في العديد من الصور الفاتحة لعملية الهدم والبناء النابعة من اللغة السائحة في النص باعتباره وجودا عائما ذا إشارات المحاصرة بالمدلولات، وعرض في تدليله بالتفكيكية واستخراجها كمنهج بعد تقديم سلسلة الاتجاهات النقدية الأسلوبية والنقد الجديد والبنوية والهدف إقامة القراءة بإشراك القارئ في توجيه النص، وهذا المنهج الألسني استجابة للمعارف النقدية الحديثة وراهن النقد العربي الحديث وهذا ما يمكننا إدراكه في التأسيس (الخطيئة والتكفير من البنوية إلى التشريرية -قراءة لنموذج إنساني معاصر) الذي يكشف من خلاله مقاربات جادة تساهم في طرح أسئلة جديدة بين تفكيكية دريدا وبارت الذي يميل إليه الغدامي بوجه الخصوص لأنه "يعمد إلى تشريح النص لبنائه لا لنقضه وهو الهدف دريدا وبارت الذي يميل إليه الغدامي بوجه الخصوص لأنه" يعمد إلى تشريح النص لبنائه لا لنقضه وهو الهدف الذي يعلو بالناقد للاندماج مع النص والتداخل معه" (الغدامي، 2006، صفحة 80).

وامتدت فاعلية القراءة الأدبية عند عبد الله الغدامي بتبني مرتكزات التفكيكية ومقولاتها دون الانزياح عن التراث العربي في تحديد المفاهيم كالاختلاف الذي رأى أنه اصطلاح تردد عند عبد القاهر الجرجاني ليدل على تحولات الدلالة الأدبية كما هي في واقعها إلى واقع جديد متولد عن النص (عبد الله الغدامي، 1993، صفحة 52)، وهذا يجعل القراءة الأولى مفتوحة للتفكيك وإعادة البناء، فتتبلور رؤى جديدة تتحد مع القارئ الذي يستلزم عليه

استحضار الغائب وبناء جسر في الفراغات بالاعتماد على المعطيات النصية والإشارات وهو الاختلاف في النص الذي يعتبر مساحة تجمع الحضور والغائب وينتج دلالات لامتناحية، بناء على تصيد بفعل القراءة للقيمة الجمالية والشاعرية المتوالية في الكتابة وماتحمله من وقع وهدف وتشكيل ناتج لتحقيق التفاعل والاستجابة بين العمل الأدبي ومبدعه والقارئ، ما يعني أننا أمام مفهوم الأثر عند دريدا وما يسمى بسحر البيان في الحديث النبوي على رأي الغدامي في مؤلفه، ولقد جسدت التفكيكية الغدامية إشكالية تختلف عن حدود الوصف للآليات والإجراءات للتفكيكية الدريدية حيث تخطت الحدود إلى تقريب المفاهيم للقراءة والتحليل بالاعتماد على مرجعية مزدوجة تراثية لإثراء الفكر والنقد والغربية للاستفادة وتغذية التجربة النقدية، لتمنح هذه الازدواجية منظومة تنسجم من النقد القديم والنقد الجديد لتأسيس أدبية النص المشرح وبنائها.

ولعل هذا الطرح هو رحلة فكرية تصب في المنجز النقدي (الخطيئة والتكفير) الذي يعتمده الغدامي في تحليل النصوص بتجاوز مأزق البنيوية أو ما سماها بالخطيئة التي وقعت فيها منظومة الفكر لأنها أقصت القارئ والسياق وتعاملت مع النص بنية بوصفة بنية مستقلة بذاتها

وبالتالي مركزية المعنى وأحاديته وهو تضيق خناق، إلى التكفير عن الخطيئة بالتفكيكية الراضية للكشف عن الدلالة بل إنتاجها عبر القراءة بوصفها فعالية أدبية ونقدية تؤرخ للنص وتهدف إلى تفكيك المركز وإمكانية تحويله إلى هامش (الأصل يصبح فرعاً، المعنى يتحول إلى لامعنى...) فتصبح كل العناصر دالة لذا وجب التحليل التشرحي تكسير" النص إلى أجزاء ووحدات صغرى لتمييزها على صعيد عدة مستويات وإقامة صلات بينها وبين مماثلاتها " (الغدامي، 2006، صفحة 80).

وعليه فقد تجلت بوادر التفكيكية في توظيف الألسنية الحديثة كحضور والمرجعية التراثية كمعرفة كامنة في الخلفية الذهنية، وذلك من أجل إعادة النظر لتأسيس نظرية نقدية عربية بارزة، حيث تعددت ملامح التفكيك عند الغدامي انفتح على نصوص جاك دريدا كانت ميداناً ينطلق منه في تحديد طبيعة النقد (التشريحي) بالتعامل مع أفكاره وتلقيها ومحاورتها والاعتناء بالمفاهيم لمقارنتها بمعطيات التراث ومصطلحاته، ومعطيات ومخرجات رولان بارت التي يستند عليها تطبيقاً في التشرية وربط النص بالقارئ لإعادة بناء النص.

2 تفكيكيات جاك دريدا والشبهية عند محمد بكاي:

تسللت التفكيكية من البيئة الغربية إلى العربية النظيرة بفضل جهود الباحثين والأكاديميين بطرق مختلفة هيأت للقارئ ظروف الاستقبال ومنحته إمكانية التوغل في متاهاتها، ومحمد بكاي الجزائري من أهم الذين حاوروا ثقافة

الآخر وسلطوا الضوء على عالم وعوالم التفكيكية من خلال طيف جاك دريدا الفيلسوف الفرنسي من خلال مقاربات نقدية متنوعة بين القراءة لأعماله بلغتها الأم ومنبتها الأصلي، إلى الترجمة والتأليف.

التفكيك بلغ أكثر من لغة إذ تتجلى تأثيرات فيلسوف الهوامش كما يسميه محمد بكاي في العديد من معطيات النقد المعاصر نظرا للتداخل البيئي للعديد من المجالات والتخصصات كالفلسفة التي تلاشت حدود التمايز بينها وبين الأدب، والعلائق الموجودة بين السياسة وعلم الاجتماع مع الخطاب الأدبي، إذ أن تفكيكية دريدا تفرض على القارئ مغامرة وتجهيز العدة والآليات من أجل فهمها لزيادة التأويلات التي تفسد جمالية النص، فقد سعى الناقد إلى إعادة الصياغة لسياق التفكيكية عربيا كروية نقدية قائمة على تساؤل يطرحه هل هي استنارة أم تدليس؟ (بكاي، 2017، صفحة 80) مشيرا في ذلك إلى فكر "عبد الوهاب المسيري" الذي جعل هذا المشروع الفلسفي الغربي التفكيكي يستند على ثنائيات تقليدية والفواصل الوهمية وتوتر النسب واللاواقعية والغائب العائد، والبحث في الآن (بكاي، 2017، صفحة 23)

وقد توزعت رؤية (محمد بكاي) إلى مباحث جاك دريدا التفكيكية التي رأى أنها تختلف عن غيرها بالتميز والتفرد مما جعل فكره الفلسفي إرثا، إرث يكشف عن شبكة الدلالات النصية لالتماس الحقائق ومن أهم المفاهيم والمقولات التي اختلف بها ما أطلق عليه الشبحية، التي تظهر في المقاربات والتحليلات "استبصارات تتناثر وتتطير لتعود من حين إلى حين في قوالب تحليلية لا تخلو من مباراة المحاكاة، اقتفاء الأسلوب التفكيكي في مجاراته للهلوسة والمجاز والاستراتيجيات البلاغية لخطاب فلسفي غير قابل للتطويق" قابل للتطويق" (بكاي، 2017، صفحة 11) وعدم التطويق هو منهج ومدخل يعالج التداخل البيئي وإمكانات المعنى المتوالدة عبر أطياف النص.

إذ إن النص الذي يحجب السر ويؤجل المعنى يمكننا أن نصل إليه عبر فلسفة التفكيك التي بشأنها تفتح ذلك المعنى عبر اتفاقيات مزدوجة مما يثير الكثافة وهي قراءات "هاربة تمجد التعثر وغرابة المجهول ومديح العزلة وإيقاع المابعد فالتفكيك الدريدي طرح إشكالي لقسوة الكيفية (محمد، 2023، صفحة 65)، فاللعب الحر على اللغة والإزاحات داخل النص وشبكاته

تجعله يعول على التشئت وبالتالي التعدد الذي يرتقي به إلى نوع من التمدد والتجدد والنقد بمفهوم الاختلاف على عكس النقد البنيوي الكاشف للمعنى وفقا لمقاربات نسقية مبنية على لغة خطية بالتفكير داخل نسيج النص، وهذا ما تطرق إليه (محمد بكاي) أن فلسفة دريدا التي تظهر على الأدب مشبعة بالتشابك الدلالي وملغز بالمتناقضات والأضداد التي تستدعي من القارئ بضرورة الاحتراز من نصوصه مع وجوب امتلاك العدة اللازمة قبل الشروع في مغامرة القراءة دون التسطيح والاختزال (بكاي، 2017، صفحة 15).

ويرى المتلقي محمد بكاي من خلال مجموع مؤلفاته مثل (أرخبيلات مابعد الحداثة - رهانات الذات الإنسانية من سطوة الانغلاق إلى قرار الانعتاق) و(دريدا فيلسوف الهوامش) (التفكيك وفسيفساء المعنى)... بالإضافة إلى العديد من المقالات منها (التفكيك وحفريات النص - تأملات نظرية حول الكتابة وفلسفة النص عند جاد دريدا) - أن آراء دريدا النقدية والفلسفية يجب على القارئ أن يحتز منها لطفو الألغاز وبالتالي يتوجب عليه امتلاك العدة اللازمة قبل الشروع في القراءة (محمد، 2023، صفحة 65)، كما يثير في هذا الصدد القراءات ذات الفكر التفكيكي والتي تجعل النص يتزعزع ويصبح أكثر نسبية مما يعسر الاستقرار للدلالات الممكنة.

وقد أحيا الناقد الفيلسوف من خلال التركيز على مقولة الشبحية وفحصها باعتبارها بابا يجمع بين الواقع والخيال وهي طيف بيني تكمن وظيفته في الجمع بين الفلسفة والأدب من أجل ضبط النص فيصبح أكثر تناغما وانسجاما، وفعل القراءة وتشخيص الفلسفة قائم على قوالب تحليلية لفهم المقولة والأساس الذي يتعايش مع التوتر في العلاقات والأضداد والمتناقضات والمجازات التي بدورها تهم بالمسكوت عنه، يتردد ويتمدد بين هذه التناقضات خيوط وفواصل يسعى من خلالها الفيلسوف دريدا إلى الوصل لأن بالأضداد تتضح المعاني " حيث النقيض يلعب دور نقيضه ويتلبس طبائعه وأدواره دون الحلول في ذاته أو التمهيد بمهويته"

(بكاي، 2017، صفحة 11)

كما دّج وردد مقولة الشبحية في أرخبيلات الحداثة والمؤلف الذي أشرف عليه "فسيفساء المعنى" مقارنة بالمفاهيم التي تناولها جاك دريدا وتناولها بعده الدارسون بشكل أكثر، فاستقبال

وتلقي الشبحية واقتفاء أثرها باعتبارها معنى مدسوس في الكتابة والتي تشبه الجسد المسكون بالأشباح لأنها تضم ترسبات طبقية من الألفاظ ومجموعة شبكات دلالية متناثرة ورموز ذات معان لا يمكن للغة استنفادها فإرادة التعبير تتجاوز ما ينسقه الخطاب وما ترتبه اللغة على خلاف البنيوية التي تهم بالمعنى داخل النسق اللغوي ولا تتعدى إلى الحدود والأطر الخارجية التي لا تهمش المركز ولا الصوت وتراود المعاني الجوانية في جوف الكتابة والشبح في هذا السياق يحدث "شرخا ومسافة تتخذ شكل حركة إجرائية مولدة للدلالات في بعدها اللامتناهي أو اللايقيني أو الشبحي عكس التصورات والنتيجة المنطقية لذلك ليس هناك حقيقة بالمفرد بل هناك حقائق ممكنة وغير متناهية"

(بكاي، 2017، صفحة 33)

بالإضافة إلى التساؤلات التي أفضت إلى تفسير اجتهادات دريدا وخبرته في عدوى الشبحية التي طالت البنيات اللامتناهية، إذ تأنت جمالية التفكيك على مواضيع الفن والموسيقى والظواهر الصوتية المتجذرة في النصوص والمنطوية على عدة معاني، فتسعى إلى تدميرها للكشف عن حركيتها المرجأة المساهمة في استمراريتها بحقائق لامتناهية ذات

أثر مستمر، كما يجسد هذا المفهوم ثنائية الحضور والغياب التي تبقى الأثر فلا يموت أبدا كأشباح تحضر وتغيب، لا تغيب الأشياء إذ تعيد بنائها بعد اختياره.

فالمتتبع لتصورات (محمد بكاي) واستدعاءاته لدريدا ومقولاته المتنوعة وشبهتيه الماثلة والمحتشدة في ثنايا النص التي ربطها بشخصيته المتزعزعة وهويته المشتتة والمتناقضة اعتقاديا التي فرضت عليه اللاانتماء مما غذى عنده فكر التفكيك والذي تحول إلى كاشف عن الأرشيفات المتوارية في النص (بكاي، 2017، صفحة 27) النازح إلى التعددية، وتأثير الرؤية والتصور الفكري الدريدي هو مواجهة أنطولوجية تبحث عن التكتيك الممارس ضد الرتبة عبر الحضور والغياب، فالتعاطي الأدبي واتصاله بالتفكيك حاصل لمجموع الأسئلة المنبعثة من العلامات اللغوية والقرائن المراهنة لآفاق المعنى، والذي يكسر التردد النمطي المتجلي في البناء والاستجواب له (المعنى) إلى الوثب عبر أطراف النص لتمثيل الهدم والبناء مما يجعله مكونا وجوديا حقيقته مفتوحة مستمرة لاتعول على الوحدة وتستدعي القراءات الدينامية الفاعلة والدائمة التي تطوح بالمعنى إلى أقاصي التأويل باختراق الحجب والهامش والتخوم والانزياحات وازدواجية المتناقضات والأضداد، فيصبح الأثر شبحا يطاردنا في كل زمان ومكان -على حد تعبيره- الشبح الذي يترك المعنى متناثرا كالفيلسوف وتثير تساؤلات وبالتالي انفتاح وفكر مصاحب له من منطلق طرح إشكالية مفادها التفكيك باعتباره محل مناورة هل هو محل نقد أم انتقاد؟ فتح جديد ذا فائدة أم اشتباه يتوه بالمعنى؟.

قد أدرك بإسهاماته البحثية والنقدية المتزاوجة بين الدراسة والتنقيب والترجمة بإثراء المشهد النقدي والثقافي ووسّع أفق النقد العربي الحديث، إذ جمع بين التفكيك وإيديولوجيا الأنا والآخر ورؤى نظرية تحليل الخطاب المتنوع (شعر، لغويات، فنون) بناء على تفكيك متنوع الأنظمة (لغة، ثقافة، هوية، جنس) مما أتاح توسيع المجال البحثي خاصة، والنقد العربي بصورة أكثر شمولاً، لأنه يدرك تمام الإدراك حسبه أن التفكيك نموذج لا يجب أن يشيع إلى مثوى أخير فهو وجود فكري ومفتاح نعوص به لحفريات النص والمعنى - فكيف نعلن حداده؟؟

خاتمة:

تميز المسار النقدي للتفكيكية في النقد العربي المعاصر بالثراء والنتاج المتجلي في مجموع المؤلفات المتنوعة والأعمال والدراسات النقدية، رصدت المصطلح ومفاهيمه ترجمة وتعريفا وتوضيح سماته ومستوياته والمقاربات من خلال تحليل نصوص قديمة وحديثة، شعرية ونثرية.... وقد أسفر رصد المفاهيم إلى التداخل والتفاوت والاختلاف بين (التفكيكية التقويمية التشريح..) وهذا هو واقع المصطلحات.

من أهم النقاد الذين نشطوا الحركة النقدية في عالمنا العربي فأثرى الغدامي التفكيكية لتصبح جزءاً لا يتجزأ من الثقافة النقدية العربية والفكرية فهو من أهم المنظرين ولقب برسول الحداثة

صلاحية الطروحات والمفاهيم ونجاحاتها في تطوير النقد العربي وبالذات التفكيكية بوصفها محاولة جادة أتاحها الناقدان كأنموذج عربي.

إمكانية دراسة النصوص ضمن رؤية نقدية جديدة وهو ما يدخل ضمن أطر النقد الثقافي عند عبد الله الغدامي

التركيز على تصورات مشتركة مع الفكر الغربي وخاصة المرجعية البنيوية والتفكيكية والمحافظة على النزعات والحس العربي أي إشراك الفكر العربي النقدي مثل مانجده عند الغدامي الذي يشرح ويشرح ببعض النقاد القدامى

مثل عبد القاهر الجرجاني والقرطاجني والأصول العربية لإثراء الفكر، فيصبح السياق المعرفي مفتوحاً بين الثقافتين

استيعاب محمد بكاي للفكر الدريدي بصفة تكاد تهيمن على دراساته وأبحاثه قراءة وتحليلاً بوصفه أنه يعود إليه بشكل شبحاني

عدول مفهوم التفكيكية عند الغدامي عن مفهومها الدريدي، إذ يرى الناقد العربي أن التفكيكية استراتيجية قرائية واتجاه يعنى بتفكيك النص من أجل إعادة بنائه لإدراك المعنى داخل البنية وقرأ على أساسها النص وهي رؤية تميل إلى رؤية بارت عكس فكر دريدا الذي يعنى بهدم النص بقراءة التناقضات والتوترات لنقضه.

نحت بعض مفاهيم التفكيكية من التراث العربي ليربط الفكر الغربي المعاصر بالعربي القديم، ويقرب هذا الأخير ويمكننا أن نعتبر أن هذا لقاء ذهني بين مفكرين متباينين وهو ما يتسم به المشروع الغدامي الجمع بين الأصالة والمعاصرة، الأصالة التي تؤصل للتراث العربي القديم والمعاصرة التي تستلهم الاتجاهات الألسنية الغربية .

المراجع

- إدريس جبري. (2001). الإمكانات والعوائق في المشكلة والاختلاف. تأليف كتاب الرياض، الغدامي الناقد قراءات في مشروع الغدامي النقدي (الصفحات 31-6). السعودية : مؤسسة اليمامة الصحفية .
- جاك دريدا. (2000). الكتابة والاختلاف (المجلد 1ط). (كاظم جهاد، المترجمون) الدار البيضاء المغرب: دار توبقال للنشر.
- جون ستروك. (1996). البنيوية وما بعدها من ليفي سترواس إلى جاك دريدا. سلسلة عالم المعرفة.
- رسول عدنان. (9 فبراير، 2025). بين الغدامي وخصومه: تفكيك الأنساق أم تفكيك الأدب؟ لقدس العربي.
- سعيد غوانمي، عبد الله إبراهيم، و علي عواد . (1996). معرفة الآخر - مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة (المجلد 2ط). بيروت: المركز الثقافي العربي.

- سعيد يقطين. (22 صفر , 1428). الغدامي وأسئلة الثقافة العربية. الجزيرة الثقافية. تم الاسترداد من <https://www.al-jazirah.com/culture/12032007/speuss5.htm>.
- عبد العزيز حمودة. (1978). المرايا المحدبة من النبوية إلى التفكيك. الكويت : عالم المعرفة.
- عبد الله الغدامي. (1993). ثقافة الأسئلة مقالات في النقد والنظرية (المجلد 2). الكويت: دار سعاد الصباح.
- عبد الله الغدامي. (1994). القصيدة والنص المضاد (المجلد 1). بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.
- عبد الله الغدامي. (2006). الخطيئة والتكفير من النبوية إلى التشريعية، قراءة نقدية لنموذج إنساني معاصر-مقدمة نظرية ودراسة تطبيقية (المجلد ط6). الدار البيضاء المغرب: المركز الثقافي العربي.
- عبد الله الغدامي. (1994). المشكلة والاختلاف قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في الشبيه المختلف (المجلد 1). الدار البيضاء بيروت: المركز الثقافي العربي.
- محمد بكاي. (2011). مقول الشبكية عند جاك دريدا (المجلد 1). الجزائر: منشورات الاختلاف.
- محمد بكاي. (2017). أرخبيلات مابعد الحداثة : رهانات الذات الإنسانية من سطوة الانغلاق إلى قرار الاعتناق (المجلد 1). لبنان/كندا: دار الرافيدين.
- محمد بكاي. (1 جوان, 2023). النص ومناورات التفكيك: تأملات في قراءات جاك دريدا الأدب-فلسفية. مجلة إحالات، الصفحات 62-70.
- محمد بكاي. (بلا تاريخ). التفكيك وفسيفساء المعنى. الإمارات: دار الثقافة.
- محمد بكاي، ، ط1، الإمارات ص11. (بلا تاريخ). التفكيك وفسيفساء المعنى.
- موريش بلانشو. (2018). كتابة الفاجعة (المجلد ط1). (عزالدين الشتوف، المترجمون) الدار البيضاء المغرب: دار توبقال للنشر.